مقـدمة :

دخلت البشرية الألفية الجديدة منقسمة إلى معسكرين كبيرين : معسكر يقوده اليمين الأمريكى وحلفاؤه المندمج مع الشركات الكبرى المتعددة الجنسيات واحتكارات السلاح والنفط ، صاحب مشروع العولمة الرأسمالية لتسخير ثروات الكوكب واستعباد شعوبه ، الجارى تنفيذه منذ بداية ثمانينيات القرن الماضى .

أما المعسكر الثانى ، معسكر القوى المناهضة للعولمة ، الذى كان يتلمس خطاه منذ منتصف الثمانينيات ، فقد استقبل الألفية الجديدة بانتصار «سياتل» ، وإفشال المؤتمر الوزارى الثالث لمنظمة التجارة العالمية وتوجيه أول ضربة ذات وزن لقوى العولمة الرأسمالية .

تميزت الأشهر الأولى من الألفية الجديدة بتصاعد الصراع بين المعسكرين ، وفوجئت قوى العولمة بنهوض القوى المناهضة الذى بلغ ذروته فى «جنوة» وفى مؤتمر مناهضة العنصرية بجنوب أفريقيا فى «دربان» الذى أجبر الولايات المتحدة الأمريكية وإسرائيل على الانسحاب من أعماله .

وجاءت أحداث ١١ سبتمبر ، لتغتنمها الولايات المتحدة الأمريكية ، ومؤسساتها العسكرية والأمنية ، فى ترويع شعوب الأرض ، والإسراع فى تنفيذ مشروعات العولمة الرأسمالية المتعثرة ، من خلال حرب شاملة «بلا حدود» ، و «بلا نهاية» ، يقولون أنها ضد «الإرهاب» ، وهى الإرهاب عينه ، حرب تستخدم فيها أشد أسلحة الدمار فتكا ، ضد أضعف شعوب الأرض وأكثرها فقراً ، من أفغانستان ، إلى فلسطين ، والفلبين ، والصومال ، والعراق ، وفنزويلا ، وغيرهم .

خفت صوت الحركات العالمية المناهضة للعولمة ، أياما ، وشهوراً ، عقب أحداث ١١ سبتمبر ، حتى ظن أنصار العولمة ، أنهم قد انتهوا إلى غير رجعة . ولكن ، لم تمض عدة أشهر ، إلا وتشهد «بورتو اليجرى» فى البرازيل أكبر حشود للقوى والحركات المناهضة للعولمة ، حشود تجاوزت ٧٠ ألفا من كل شعوب الأرض ، اجتمعت فى يناير ٢٠٠٢ ، لتعلن رفضها للحرب الأمريكية ، وللسياسات العولمية الليبرالية الجديدة ، وتدعو لبناء عولمة جديدة للفقراء والمستضعفين .

كنا فى مصر وفى العالم العربى ، ننظر للعولمة الرأسمالية ، كقدر لا يمكن الفكاك منه ، أيضاً ، كنا ننظر للحركة المناهضة للعولمة كحركة احتجاج مؤقتة وضعيفة الإمكانيات والقدرات . غير أن تفاعل الحركة العالمية مع الانتفاضة الفلسطينية ، وتحركها فى مظاهرات حاشدة في معظم عواصم العالم ومدنه الكبرى ، حيث لم تتمكن فقط من تنظيم مظاهرات ضد الحرب الإسرائيلية على الشعب الفلسطينى وضد التحالف الأمريكى – الإسرائيلى فى واشنطن والعديد من المدن

الأمريكية وفى تل أبيب أيضاً ، بل تجاوزت ذلك إلى كسر الحصار المفروض على «رام الله» و «ياسر عرفات» ، وتمكن أنصارها من الدخول إلى مقر «عرفات» المحاصر.

هنا ، بدا واضحا أن للحركة قدرات وطاقات تتجاوز تصوراتنا ، وأنها تتأكد يوما بعد يوم كمعسكر قادر على تحدى الولايات المتحدة الأمريكية التى تطرح نفسها كقطب دولى وحيد ، وتفرض إرادتها السياسية ومصالحها الاقتصادية والاستراتيجية على كل شعوب الأرض .

وفجأة ، بدأ الاهتمام بالحركة العالمية ، أو على الأصح ، الحركات العالمية لمناهضة للعولمة ، وسعى المثقفون والسياسيون العرب للتعرف وإقامة الصلات والعلاقات مع منظمات كبرى فى الحركة العالمية . كما أصبح الإعلام العربى والرأى العام أكثر انشغالاً ومتابعة لتحركات الحركات العالمية ومظاهراتها ومؤتمراتها ، وأكثر معرفة ببعض قادتها البارزين .

لكن المطبعة العربية التى انشغلت كثيراً فى السنوات القليلة الماضية بتقديم عشرات المؤلفات والمترجمات ، سواء كانت تدافع عن العولمة الرأسمالية ومؤسساتها الرئيسية الممثلة فى منظمة التجارة العالمية والبنك الدولى وصندوق النقد الدولى ، أو كانت تنتقدها ، تكاد تكون لم تقدم شيئًا عن الحركات العالمية المناهضة للعولمة . هذا، على الرغم من الثراء المفرط لكتابات الحركات العالمية ، فى كل شئون الحياة ، السياسة ، والاقتصاد ، الفلسفة ، البيئة ، الثقافة ، إلخ . فلا يمكن لفرد ، أو مجموعة من الأفراد ، أن تتابع بمفردها كل هذا الزخم من الكتب والمقالات والدراسات ، والرواياته وأفلام الفيديو التي تقدمها منظمات الحركات العالمية بكل لغات العالم (عدا العربية للأسف الشديد) .

كانت المشكلة بالنسبة لنا ، كيف نقدم للقارئ العربى «بانوراما» تمكنه من فهم الأفكار والتوجهات الرئيسية للحركات العالمية المناهضة للعولمة ، من بين مئات الكتب ، وآلاف المقالات والدراسات والتقارير والبيانات ، التى تزدحم بها مواقع الحركات المناهضة للعولمة الموجودة على الإنترنت .

فى النهاية وقع الاختيار على الانتقاء من أدبيات موقع «الفوكس ويب» فى تايلاند ، المنشغل أساساً بقضايا التنمية والبيئة ، ويقوده «والدن بللو» ، عالم الاجتماع ، والمدير التنفيذى لبرنامج جنوب العالم فى «بانجوك» ، وكما يتضح من الترجمات المقدمة فى هذا الكتاب لبعض من مؤلفاته ، أنه يمثل أهمية كبيرة فى تأسيس بناء فكرى للحركة ، خاصة فى مجال التنمية ، فضلاً عن متابعاته السياسية

للأوضاع العالمية الراهنة ، ورؤيته لطبيعة الحرب الدائرة فى مناطق عديدة من العالم بدعوى محاربة الإرهاب .

أما منظمة «أتاك» وهى واحدة من أكبر المنظمات الأوروبية المناهضة للعولمة ، والتى يمتد نفوذها إلى بعض المثقفين فى العالم العربى ، وصاحبة الحملة الخاصة بفرض ضريبة على حركة الأموال المضاربة عبر دول العالم يخصص عائدها لمواجهة الفقر فى العالم ، فقد ترجمنا عنها تقريراً هاماً حول الرؤى المتباينة فى داخلها بشأن هذه الضريبة . باعتبار أن هذا مشروعها الأساسى الذى قامت من أجله .

وكان موقع «بورتو اليجرى» ، «المنتدى الاجتماعى العالمى» ، أحدث المواقع ، وإن كان أكثرها ثراءً وتنوعا على المستويين الفكرى والسياسى ، فهو يمثل أكبر تجمع للمنظمات المناهضة للعولمة على نطاق الكوكب . ونظراً لحيوية هذا الحشد الذى لا نظير له ، وبنائه التنظيمى المتميز ، الذى يسمح بممارسة الخلافات دونما سطرة من أغلبية على أقلية ، أو تسييداً لرأى وإقصاء آخر ، أو الترويج لجماعة أو لفكرة دون أخرى ، ولذلك قدمنا له بيانات مؤتمريه الأول (يناير ٢٠٠١) والثانى يناير (٢٠٠٢) . وبعض البيانات الهامة الصادرة عنه .

كما نقدم دراسة هامة لواحد من أهم مفكرى الحركة العالمية المناهضة للعولمة ، ومن أبرز كتابها ، يستعرض فيها الاتجاهان الرئيسيان فى الحركة : الاتجاه المناهض للعولمة ، والساعى للدفاع عن الدولة القومية وتأكيد دورها فى مواجهة النفوذ المتزايد لمؤسسات العولمة ، أما الاتجاه الثانى ، فيرى أن العولمة لا تعنى فقط وحدة السوق العالمى ، بل تعنى أيضاً وحدة مصالح الطبقات المستضعفة على النطاق الكوكبى ، وعليه ، يدعو أصحاب هذا الاتجاه إلى عولمة بديلة ، وإلى منظومة كوكبية واحدة ينعم فيها كل البشر ، بالمساواة والعدالة والسلم .

لكننا نشعر أن كل هذا لا يشكل سوء إضاءات محدودة على الحركات العالمية المناهضة للعولمة ، ونأمل أن نواصل مع غيرنا هذا الجهد من أجل فهم البنيان الفكرى والتنظيمى للحركة ، على أمل أن نكون فاعلين فيها يوماً ما .

وفى النهاية ، يعرب المترجم عن اعتزازه وشكره للعديد من الأصدقاء الذين ساهموا فى إصدار هذا الكتاب ، خاصة الدكتور أحمد زكى الذى تفضل مشكوراً بالسماح لنا بنشر «ميثاق بورتو أليجرى» ، و«إعلان مجموعة مثقفين مشاركين فى الاجتماع الأخير للمنتدى» ، بعد أن قام بترجمتهما .

المترجم .
القاهرة فى ١٥ أغسطس ٢٠٠٢ .